والفكرية والثقافية لأمة من الامم أو لشعب من الشعوب، وذلك بدراسة آدابها وفنونها وفلسفاتها واديانها. ولعل اهم معلم من معالمها، هو التفسير الديني الذي لا يمكن ان يقوم من دون درس فقه اللغة.

ومن الناحية التاريخية، أتت المباحث الفقهية اللغوية المتصلة بالمدرسة الالمانية ببرامة مع التفسير والتأويل الديني المسيحي، وخاصة في المذهب البروتستانتي. وخير مثال على ذلك هو الفيلسوف واللاهوتي الالماني شلايرماخر، الذي حللنا بعض آرائه في الفصل الرابع من هذا الكتاب. وكذلك فريدريك نيتشه الذي يعد مثالاً للفيلسوف الذي جمع بين فقه اللغة والفلسفة، فلقد «كان أول فيلسوف كبير في عصرنا قام بعملية هدم كاملة للفلسفة منطلقاً من اعتبارات لغوية. نيتشه جاء الفلسفة من فقه اللغة»[1].

ذلك لأن نيتشه كان يرى ان الانساق الفلسفية - ومنها على وجه الخصوص النسق الهيغلي - قد استسلمت لإغراء اللغة وافتتنت باستقرار النحو ومثاليته. فالوجود مثلاً، وهو مقولة مركزية في الميتافيزيقا، مجرد استعارة، واستعارة ميتة أخذت من النمط اللغوي. وبالتالي فان المفاهيم الفلسفية مجرد استعارات، والفلاسفة في نظره بوا المفاهيم الفلسفية كاستعارات ميتة كانت بالنسبة لهم قلاعاً يختبئون فيها خوفاً من الحياة.

إن المفهوم تجريد، والتجريد يعني غياب الحياة، وبالتالي فان مفهوم الوجود وهو المفهوم الأول في الفلسفة يصبح الشبح الاكبر، والفلسفة تصبح في مثل هذه الحال «مجموعة من الأشباح أو مجموعة من الاستعارات الميتة»[2]. والحل في نظره يكمن في استعمال استعارات حية أو مجاز حي، استعارات تعكس الحياة أو ارادة القوة. وهكذا يورث من خلال فقه اللغة مشكلات الفلسفة اللغوية كما اشرنا إلى ذلك في مقدمة الفصل الثالث من هذا الكتاب. ولكن فقه اللغة من الناحية العلمية عرف تطوراً جديداً تمثل في ظهور علم اللغة الحديث أو اللسانيات أو الالسنية. فما هي مساهمتها في فهم اللغة؟ وما هي علاقتها بالمنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة؟

٢ - الألسنية:

جسدت اللسانيات المرحلة الرابعة من تطور علم اللغة، بعد النحو والمنطق وفقه اللغة وفقه اللغة المقارن. ويُعتبر العالم السويسري فرديناند دي سوسير (١٨٥٧ -

كما تقوم بتقييم النظريات اللغوية بين المدارس المختلفة، ومشكلة التفسير في الألسنية، والاختيار بين نظريات المتساوية من حيث القيمة الإجرائية، ومناقشة المبادئ المعرفية مثل البساطة والاتساق أو الانسجام[1].

أولاً - بين فقه اللغة والألسنية

١ - فقه اللغة:

يشكل فقه اللغة (الفيلولوجيا)، المرحلة الثانية والاساسية في دراسة اللغة بعد النحو والمنطق. ولقد بدأت أبحاث فقه اللغة انطلاقاً من اعمال المدرسة الالمانية وخاصة اعمال فريدريك فون شليغل الذي دعا إلى "النحو المقارن" في كتابه الذي صدر عام ١٨٠٨ بعنوان **اللغة والمعرفة عند الهنود**، وتبعه في ذلك فرانز بوب في عام ١٨١٦ بكتاب عنوانه **نظام التعريف في السنسكريتية مقارناً بكل من اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية**، حيث حدد معالم "فقه اللغة المقارن".

ومنذ هذا التاريخ توسعت الدراسات الفقهية اللغوية، وتعمقت الابحاث في اللغة السنسكريتية وغيرها. فما هو مضمون هذا العلم؟ يقول زكي مبارك: «ذكر السيبويه جويدي في محاضرته الأولى بالجامعة المصرية (٧ اكتوبر ١٩٢٦) ان كلمة philologie يصعب ترجمتها إلى العربية، وان لها في اللغات الغربية معنى خاصاً لا يتفق عليه اصحاب العلم والادب. فمنهم من يرى ان هذا العلم مجرد درس قواعد الصرف والنحو ونقد نصوص الآثار الادبية، ومنهم من يرى انه ليس درس اللغة فقط ولكن بحث عن الحياة العقلية من جميع وجوهها. واذا صح ذلك، فمن الممكن ان يدخل في دائرة "الفيلولوجي" علم اللغة وفنونها المختلفة كتاريخ اللغة ومقابلة اللغات والنحو والصرف والعروض وعلوم البلاغة وعلم الادب في معناه الواسع، فيدخل تاريخ الآداب وتاريخ العلوم وتاريخ الاديان من حيث درس الكتب المقدسة وتأليف الكتب الدينية واللاهوتية وتاريخ الفلسفة من حيث تأليف كتب الحكمة وكتب الكلام»[2].

يحدد هذا التعريف المباحث الكبرى لفقه اللغة ويُجملها في اتجاهين كبيرين اتجاه لغوي محض يختص باللغة وفروعها كالنحو والصرف والعروض وتحقيق النصوص والمقارنة بين اللغات، واتجاه عام يتخذ من اللغة وسيلة لدراسة الحياة العقلية